

## الباب الثاني

### عقوق الوالدين

مقدمة :

- الفصل الأول : خطورة العقوق .
- الفصل الثاني : آثار العقوق .
- الفصل الثالث : مظاهر العقوق .
- الفصل الرابع : أسباب العقوق .
- الفصل الخامس : والدا النبي ﷺ .

## مقدمة

العقوق مصدر عَقَّ، يقال: عَقَّ الولد والده عقوقاً ومَعَقَّةً، فهو عاقٌّ وعُقُقٌ كَعَمَّرَ، وجمع العاق عَقَقَةٌ مثل كافر وكفرة، وفي المأثور: دُقُّ عُقُقٌ، أى ذق جزاء فعلك يا عاق، والمادة أصلها القطع، فعقوق الوالدين معناه قطع البر عنهما.

وكما استحبت العقول البرِّ، وأكدت الأديان، استنكرت العقوق ونفرت منه، والفطرة السليمة تمقته، لأنه لا شيء أعظم ألماً للنفس من أن يحسن الإنسان إلى شخص غاية الإحسان، ويحتمل المشاق فى سبيل سعادته، ثم لا يرى منه مكافأة على ذلك، أو تكون المكافأة سوءاً أو شراً، إن العاق بمثابة شجرة تعب صاحبها فى رعايتها، ثم لم تنبت شيئاً، أو أثمرت شوكا وعلقما.

فبر الوالدين شعور فطرى إنسانى، ولذلك كان أمراً متفقاً عليه فى كل الأديان، جاءته توكيده، ونادت الولد باسم الإنسانية أن يحسن إلى والديه: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾، وكذلك يكون العقوق مضاداً للفطرة السليمة، وشذوذاً عن معانى الإنسانية.

ولشدة وقع العقوق على نفس الوالدين كان من آمال بعض العقلاء أن يغنيهم الله فلا يحتاجون إلى أولادهم، ناول عمر بن الخطاب رجلاً شيئاً، فدعا له قائلاً: خَدَمَكَ بنوك!! فقال عمر: بل أغنانا الله عنهم. (١)

وروى أن عمر قال للنبي ﷺ: ما بألنا نرقُّ على أولادنا، ولا يرقون علينا؟ قال: «لأننا ولدناهم ولم يلدونا» (٢)، وهو حديث غير مسند لم أجده فى الأحاديث المقبولة.

وقد قيل: إن العقوق تُكَلُّ من لا ثكل له، أى يشبه فى مرارته النفسية مرارة موت الولد، فمن لم يمت له ولد، ولكن الولد يعقه كان عقوقه مؤلماً كموته.

وتأخر أعرابى فى الزواج حتى كبر وأسنَّ فسئل عن السبب فى ذلك. فقال: أبادر ابنى باليتم قبل أن يبادرنى بالعقوق. (٣)

(٢) أدب الدنيا والدين ص ١٤٦ .

(١) عيون الأخبار (٩٣/٣).

(٣) المحاسن والمساوى، للبيهقى (١٩٠/٢).

## الفصل الأول

### خطورة العقوق

لقد نهى الإسلام عن العقوق، وحذر منه أشد التحذير، كما يتبين مما يلي:

١ - قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٢ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْمَا أَنْعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِئَانِ اللَّهَ وَيَلُكَّ آمِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧، ١٨]، قيل: إن هذه الآيات نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، ويقال: إن عائشة أخته نفت ذلك عنه<sup>(١)</sup>، ورجح القرطبي أنه هو، وقال الحسن وقتادة، هي نعت عبد كافر عاق لوالديه، ورجحه الزجاج<sup>(٢)</sup>.

روى البخارى ومسلم عن أبي بكر أن النبي ﷺ، قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس، ثم قال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور» وما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

٤ - روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ، قال: «الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس»<sup>(٣)</sup>، واليمين الغموس هي التي يحلفها الإنسان كذباً عامداً، وسميت بذلك لأنها تغمس الحالف في الإثم أو في النار، وقيل: هي التي تحلف أمام القاضى خاصة، مع تعمد الكذب.

(١) تاريخ الخلفاء، للسيوطى ص ١٣٦، وتفسير أبى السعود والنسفى.

(٢) تفسير القرطبي (١٨/٧)، (١٦ / ١٩٧، ١٩٨).

(٣) رياض الصالحين ص ١٦١.

٥ - روى البخارى ومسلم عن أبى محمد بن جبير بن مطعم، قول  
النبي ﷺ: « لا يدخل الجنة قاطع ».

٦ - روى البخارى ومسلم عن المغيرة بن شعبة، قوله ﷺ: « إن الله حرم  
عليكم عقوق الأمهات، ومنع وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة  
السؤال، وإضاعة المال » ومعنى: منع وهات، منع ما وجب، وطلب ما ليس حقا  
للإنسان، وتروى بفتح النون وسكونها.

٧ - روى مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ، قال: « رَغِمَ أَنْفُهُ، ثم رغم  
أنفه، ثم رغم أنفه » قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: « من أدرك والديه عند الكبر أو  
أحدهما، ثم لم يدخل الجنة ». (١)

ومعنى: رَغِمَ أَنْفُهُ التصق أنفه بالرَّغَام وهو التراب، وهو دعاء عليه بالذلة.

٨ - روى الطبرانى بأسانيد أحدهما حسن عن جابر بن سَمُرَةَ، أن  
النبي ﷺ، قال على المنبر: « آمين آمين آمين »، ولما سئل عن ذلك، قال: « أتانى  
جبريل، فقال: يا محمد، من أدرك أحد أبويه، فمات، فدخل النار، فأبعده الله  
من الجنة، قل آمين، فقلت: آمين ». (٢)

٩ - وردت تنصوص تنهى عن قطيعة الرحم، والوالدان أقرب الأرحام إلى  
الإنسان.

١٠ - كما ستأتى نصوص أخرى فى ألوان من العقوق وقطيعة الرحم.

\* \* \*

(١) الترغيب (٣/١٣١).

(٢) الترغيب (٣/١٣٢)، وصححه الألبانى على الجامع الصغير.

## الفصل الثاني

### آثار العقوق

لعقوق الوالدين آثار سيئة كثيرة، منها:

١ - عدم راحة العاق في عيشه مع والديه، وفساد جو الأسرة من أجله.

٢ - احتقار الناس له، وعدم رجاء الخير منه، لأنه لم يكن فيه رجاء لأخص الناس، وهم الوالدان اللذان هما أولى بخيره، قال عمر بن عبد العزيز لابن مهران: لا تأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر، ولا تخلون بامرأة وإن علمتها سورة من القرآن، ولا تصحبن عاقا، فإنه لن يقبلك وقد عق والديه. (١)

ولعل مما يوضح هذا المعنى حكاية النضيرة بنت الضيّن، التي دلت «سابور» على حصن والدها لما أعجبت به واتخذها زوجة له، فقد سألها: كيف كان والدها ينعم عليها ويحبها ويكرمها، فذكرت له شيئا كثيرا، وهنا عرف أنه لن يستطيع أن يكرمها كما أكرمها أبوها، وبخاصة عندما حكّت له أنها كانت تتألم إن نامت على فراش فيه ورقة ناعمة من ورق الشجر، فتأكد أنها لن تخلص له أبداً، لأنها لم تخلص لوالدها على الرغم من تفانيه في إكرامها فدلّت عدوه عليه، فقتلها شر قتلة.

٣ - القصاص منه في الدنيا، وذلك بمجازاته بالمثل عن طريق عقوق ولده له، والجزاء من جنس العمل، وهذا أمر واقع مشاهد، ويفهم من قوله ﷺ: «بروا آباءكم تبرّكم أبناءكم» وقد تقدم، وستأتى في آخر الفصل وقائع تاريخية تشهد لذلك.

٤ - عدم توفيقه في نشاطه، وبخاصة الاجتماعي منه، وذلك لقسوة قلبه،

(١) المستطرف (٢/٨).

ونكرانه الجميل، وعدم اهتمامه بمصالح الغير، والناس فى معاملاتهم ينظرون إلى تبادل الخدمات والمنافع، ويكرهون الأنانية والأثرة، ومن كانت فيه تلك القسوة، وتجاهل خدمات الغير لا يهنا له عيش فى المجتمع.

٥ - تعجيل عقوبته فى الدنيا قبل الآخرة، وذلك بغير عقوق ولده له، الذى تقدم ذكره، والله عقوبات كثيرة لا يفتن لها الكثيرون، فقد تكون أمراضاً أو فقراً أو إخفاقاً فى تعليم ونحو ذلك، ويدل عليه قول النبى ﷺ: « كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات » رواه الحاكم وصححه عن أبى بكره. (١)

٦ - التعرض لخطر دعاء الوالدين عليه، ودعاؤهما مستجاب، كما مر فى حديث جريح، الذى جاء فيه: « لو دعت عليه أن يُفْتَنَ لُفْتَنَ » رواه مسلم.

وفى تاريخ ابن خلكان وغيره أن الزمخشري كان مقطوع الرجل، ولما سئل عن سبب ذلك، قال: « دعاء الوالدة، وذلك أنى كنت فى صباى قد أمسكت عصفوراً، وربطته بخيط فى رجليه، فانقطعت رجليه بالخيط، فتألمت والدتى لذلك، وقالت: قطع الله رجليك كما قطعت رجليه!! فلما وصلت إلى سنّ الطلب، أى طلب العلم، رحلت إلى بخارى لطلب العلم، فسقطت عن الدابة، فكسرت رجلى، وعملت عملاً أوجب قطعها. » (٢)

٧ - شؤمه على من حوله من أصدقائه ومعاشريه والمتصلين به، ففى مصابيح السنة، للبعوى حديث: « لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم »، وفى رواية: « لا تنزل الملائكة على قوم فيهم قاطع رحم »، ورواه الأصبهاني والطبراني عن عبد الله بن أبى أوفى. (٣)

فقد روى عن عبد الله بن أبى أوفى، أنه قال: كنا عند النبى ﷺ، فأتاه آت، فقال: شاب وجود بنفسه، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فلم يستطع، فقال

(٢) حياة الحيوان الكبرى، للدميرى: عصفور.

(١) الترغيب (٣/١٣٧).

(٣) الترغيب (٣/١٤٣).

النبي ﷺ: « كان يصلى »؟ فقال: نعم، فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه، فدخل على الشاب، فقال له: « قل لا إله إلا الله »، فقال: لا أستطيع، قال: « ولم »؟ قال: كان يعق والدته<sup>(١)</sup>، فقال النبي ﷺ: « أحيّة والدته »؟ قالوا: نعم، قال: « ادعوها »، فدعاها، فجاءت، فقال: « هذا ابنك »؟ فقالت: نعم، فقال لها: « أرايت لو أجمت ناراً ضخمة، فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه، وإلا أحرقتنا بهذه النار، أكنت تشفعين له »؟ قالت: يا رسول الله إذا أشفع<sup>(٢)</sup>، قال: « فأشهدى الله وأشهدينى قد رضيت عنه »، قالت: اللهم إني أشهدك، وأشهد رسولك أنى قد رضيت عن ابني، فقال له رسول الله ﷺ: « يا غلام، قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » فقالها، فقال رسول الله ﷺ: « الحمد لله الذى أنقذه بى من النار » رواه الطبرانى وأحمد مختصراً، وجاءت فيه روايات خرى.<sup>(٣)</sup>

٩ - حرمانه من فضل الله ومنتته على العباد فى المواسم المفضلة، كليلة القدر، فقد روى عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه تحدث عن ليلة القدر، ونزول جبريل مع الملائكة، وتسليمهم على الذين يُحيون ليلة القدر، وقولهم عند رحيلهم: ما صنع الله فى حوائج المؤمنين من أمة محمد؟ فيقول: نظر الله إليهم فى هذه الليلة، فعفا عنهم إلا أربعة، فقلنا - الصحابة - : يا رسول الله من هم؟ فقال: « رجل مدمن خمر، وعاق لوالديه، وقاطع رحم، ومشاحن » رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب « الثواب » ورواه البيهقى، يقول الحافظ المنذرى: ليس فى إسناده من أجمع على ضعفه.<sup>(٤)</sup>

وكذلك حرمانه من فضل الله فى ليلة النصف من شعبان، روى البيهقى عن عائشة أن رسول الله ﷺ، قال: « أتانى جبرائيل عليه السلام، فقال: هذه ليلة

(١) التعبير بالغايب بدلاً عن المتكلم: كنت أعق والدتى، تنزهاً عن نسبة العقوق للمتكلم، كما يقال: وعليه لعنة الله، حكاية عن الذى يقول ذلك، فمقتضى الكلام أن يقول قال: وعلى لعنة الله، لكنهم يعدلون عن ذلك إلى الغيبة.

(٢) إذا تكتب بالألف إذا كانت عاملة، أى ناصبة، وبالنون إذا لم تكن عاملة.

(٣) الترغيب (٣/١٣٧).

(٤) الترغيب (٢/٢٢).

النصف من شعبان، والله عَتَقَاء من النار بعدد شعور غنم بنى كلب، لا ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مُسْبِل، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن خمر...» (١).

١٠ - حرمانه من رحمة الله ومن دخول الجنة، وقد وردت في هذا عدة أحاديث، منها:

( أ ) « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمَنَّان عطاءه، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، والرجلة » رواه النسائي والبخاري عن ابن عمر بإسنادين جيدين، ورواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وروى ابن حبان في صحيحه شطره الأول، وروى أحمد والنسائي والبخاري والحاكم نحوه أو قريباً منه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال المنذرى: « الديوث: هو الذي يُقر أهله على الزنى مع علمه بهم، والرجلة: بكسر الجيم مع فتح الراء هي المترجلة المشبهة بالرجال » (٢).

( ب ) « يراح ريح الجنة من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها منَّان بعمله، ولا عاق، ولا مدمن خمر » رواه الطبراني عن أبي هريرة (٣).

( ج ) « ثلاثة لا ينفع معهن عمل، الشرك بالله وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف » رواه الطبراني عن ثوبان (٤).

( د ) « أربع حقَّ على الله ألا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها، مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه » رواه الحاكم وصححه عن أبي هريرة (٥).

( هـ ) عن عمرو بن مُرَّة الجُهَني، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وصليتُ الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت رمضان، فقال النبي ﷺ: « من مات على هذا كان مع النبيين »

(١) الترغيب (٢ / ٢٩، ٣٠).

(٢) الترغيب (٣ / ١٣٥).

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع نفسه.

والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا» ونصب أصبعيه: « ما لم يعق والديه »  
رواه أحمد والطبراني بإسنادين أحدهما صحيح، ورواه ابن خزيمة وابن حبان في  
صحيحهما باختصار. (١)

١١ - مجازاته في النار بمثل ما كان يعق به والديه، أى أن صورة عذابه  
تكون مماثلة لتعذيبه لوالديه، فعن العوام بن حوشب، قال: نزلت مرة حياً، وإلى  
جانب ذلك الحى مَقْبَرَة، فلما كان بعد العصر انشق منها قبر، فخرج رجل،  
ورأسه رأس الحمار، وجسده جسد إنسان، فَنهَقَ ثلاث نهقات، ثم انطبق عليه  
القبر، فإذا عجوز تغزل شعراً أو صوفاً، فقالت امرأة: ترى تلك العجوز؟ قلت:  
مألها؟ قالت: تلك أمُّ هذا، قلت: وما كانت قصته؟ قالت: كان يشرب الخمر،  
فإذا راح تقول له أمه، يا بنى اتق الله، إلى متى تشرب هذه الخمر؟ فيقول لها: إنما  
أنت تَنهِّقِينَ كما يَنهِّقُ الحمار، فقالت: فمات بعد العصر، قالت: فهو ينشق عنه  
القبر بعد العصر كل يوم، فينهق ثلاث نهقات، ثم ينطبق عليه القبر، رواه  
الأصبهاني وغيره، قال الأصبهاني: حدّث به أبو العباس الأصم إملاءً بنيسابور  
بمشهد من الحفاظ، فلم ينكره. (٢)

والمقبرة بفتح الباء أو ضمها المكان الذى يدفن فيه الموتى، ونهق في الماضى  
بفتح الهاء، وفي المضارع بضمها أو بكسرها.

هذا، وقد روت كتب الأدب بعض الوقائع التى جازى الله بها العاقين بأن  
قيض لهم فى الدنيا من يثأرون لأبائهم وأمهاتهم منهم، منها:

أن جريراً الشاعر كانت فيه متناقضات واضحة، مع عفته وتصونه، ومع  
محافظة على الصلاة كان هجاءاً مقدعاً، وبخاصة للنساء، حتى قيل: أنه قذف  
أكثر من ألف محصنة شريفة، وكان يشرع فى هجائه بعد انفلاته من صلاة  
الصبح، وبعد الهجاء يستغفر ربه، وكان على صلاحه من أعق الناس لوالده،  
فقيض الله له ولداً هو «بلال» رد إليه العقوق مضاعفاً.

(٢) الترغيب (٣/١٣٧).

(١) الترغيب (٣/١٣٦).

يقولون: إن جريراً وولده بلالاً تلاحيا في بعض الأمور، فقال الأب لابنه: إنك لكذاب، فأجابه ولده بغير احتشام: لعن الله أكثرنا كذباً، فأقبلت عليه أمه تعنفه، وتقول له: يا عدو الله أتجبه أباك بمثل هذا القول البذى؟ فقال جرير: دعيه، فوالله لكأنى أسمعها وأنا أقولها لأبى.

ويقولون أيضاً: إنه كان لعبد الله الخياط ولد يسمى «يونس» يسومه أنواع العقوق، وحدث أن رآه الناس آخذاً بتلابيب أبيه، يعصر حلقه عصراً، فأسرع رجل، فخلصه من يده بعد جهد، ثم صرخ في وجهه، ويحك كيف تفعل ذلك بأبيك؟ فقال عبد الله: لا تلمه يا أخى، فوالذى نفسى بيده لقد خنقت أبى فى هذا الموضع الذى خنقنى فيه.

وتقول الرواية: إن الله رزق «يونس» بولد يقال له «دحيم» فاق أباه وجده فى العقوق. (١)

\* \* \*

(١) على الجندى - أهرام ٣/٣/١٩٥٤م.

## الفصل الثالث

### مظاهر العقوق

عقوق الوالدين قُلُّ من العلماء من ضبطه بحد، وحاول ابن الصلاح أن يعرفه بقوله: العقوق المحرم كل فعل يتأذى به الوالد، أو نحوه، تأذياً ليس بالهين، مع كونه ليس من الأفعال الواجبة، قال: وربما قيل: طاعة الوالدين واجبة في كل ما ليس بمعصية، ومخالفة أمرهما في ذلك عقوق.

غير أن حصر مظاهر العقوق بدقة غير سهل، كمظاهر البر، وعلى هذا، كما جمعت مظاهر البر في الإحسان والمعروف، يمكن جمع مظاهر العقوق في مخالفة الإحسان والمعروف، الذي بينا بعض مظاهره في البر، وأريد هنا تفصيل بعض النقط، وهى:

١ - من العقوق، كما ذكر القرآن الكريم، نهر الوالدين، وقد تقدم تفسيره بالفعل السيئ أو الزجر عن شيء لا يحبه الولد، سواء أكان مشروعاً أم غير مشروع، والواجب أن يقول لهما قولاً كريماً، فإذا حدث من الوالدين عمل محرم، كشرب خمر أو ترك صلاة مثلاً فهل يقف الولد مكتوف اليدين لا ينههما ولا يغير هذا المنكر؟ لقد مرت الإجابة على ذلك.

وأنقل لك رأى الإمام الغزالي فى كتابه «إحياء علوم الدين»<sup>(١)</sup>، فقد ذكر أن للولد أن ينكر المنكر على أبيه، ولكن بالتعريف والوعظ والنصح باللطف، وليس له الإنكار بالسب والتعنيف والتهديد، ولا بمباشرة الضرب، وأما الإنكار باليد، كإهراق إناء الخمر، ورد الأموال المحرمة التى عنده لأصحابها المعروفين، فذلك ليس فيه إيذاء لذات الأب كالضرب والسب، فيجوز، لكن يقال: إن الوالد

(١) (٢/٢٧٩).

يتأذى به، ويسخط بسببه، لكن فعل الولد حق، وسخط الوالد منشؤه حبه الباطل والحرام، فللولد عمل ذلك، بل يجب عليه.

٢ - يحرم على الولد عقوق والديه مباشرة وبغير مباشرة، وذلك بالتسبب في إيذائهما، وقد مثل له الحديث الشريف بسبِّ الولد أبا غيره، فقد قال ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه، فيسب أمه» رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

\* \* \*

## الفصل الرابع

### أسباب العقوق

الأسباب التي تدعو الولد إلى عقوق والديه كثيرة، منها:

١ - فساد طبع الولد، أو تسلط الهوى عليه، كما عصى ولد نوح أباه، وكما هجا الحطيئة أمه لأنه كان يهجو نفسه، وطبعه هو الذي أملى عليه ذلك، قال فيها:

تَنَحَّى يَا دَفَّارَ فَلَسْتَ مِنِّي      أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَا  
أَغْرِبَالاً إِذَا اسْتُودِعْتَ سَرًّا      وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا؟

دفار، يعنى: منتنة، وهو يطلق على الأمة.

ومن مظاهر فساد الطبع طمع الولد في مال أبيه، وتعجل وفاته ليرثه، أو يحل محله، كما سلط «المنتصر» الأتراك على أبيه، فقتلوه، ليرث الملك بعده، ولم يهنأ بهذا الملك إلا قليلا، فإن الأتراك قتلوه أيضا جزاء وفاقا، وقال وهو في النزاع الأخير: يا أماه عاجلتُ أبي فعوجلت. (١)

ومثل ذلك ما حدث في ملوك الفرس قبل الفتح الإسلامي، حيث قتل ابن كسرى أباه، وعقد صلحا مع الرومان، ثم فاجأ الجميع كُتُبُ رسول الله ﷺ إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

جاء في الزرقاني على المواهب اللدنية<sup>(٢)</sup> أن كسرى المقتول هو «أبرويز» الذي مزق كتاب النبي ﷺ إليه فدعا عليه أن يمزق الله ملكه، فسلط الله عليه ابنه «شيرويه» فقتله، ثم قتل إخوته، وكان كسرى يحس أن ابنه سيقتله، فاحتال على قتل ابنه بعد موته، وذلك بوضع سم له في «حُق» كتب عليه أنه يقوى الناحية الجنسية، فتناوله الولد، ومات بعد موت أبيه بستة أشهر، ولم يخلف

(١) تاريخ الخلفاء، للسيوطي ص ٣٢٨.

(٢) (٢) (٣٤١/٢).

ولداً، فملكوا أخته «بوران» التي قال فيها النبي ﷺ: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة».

ويذكر المؤرخون أن «نيرون» الأمبراطور الروماني المعروف بقسوته والذي أحرق روما، أمر بقتل أمه «أجريبيا»، فقالت للجلاد، فاتحة ذراعيها، مشيرة إلى بطنها: اضرب في البطن التي حملت هذا الوحش. (١)

٢ - تقصير الوالد في رعاية الولد مادياً وأدبياً، وقد مر في الجزء الرابع شكوى رجل إلى عمر عقوق ولده له، وإدانة عمر للرجل، لأنه ترك ولده دون تربية، وسماه باسم قبيح، قال السمرقندي في كتابه «تنبية الغافلين ص ٤٦»: «جاء رجل إلى عمر بابنه، وقال: إن ابني هذا يعقني، فقال عمر للابن: أما تخاف الله في عقوق والدك، فإن من حق الوالد كذا؟ فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أما كان للابن على والده حق؟ قال: نعم، حقه عليه أن يستنجب أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب، فقال الابن: فوالله ما استنجب أمي، وما هي إلا سندية، اشتراها بأربعمائة درهم، ولا حسن اسمي، سماني جُعلاً، ولا علمني من كتاب الله آية واحدة؛ فالتفت عمر إلى الأب، وقال: تقول: ابني يعقني، فقد عققته قبل أن يعقك؟ قم عني»، وقد تقدمت في الجزء الرابع؛ كما سبق فيه حديث: «أعينوا أولادكم على البر، من شاء استخرج العقوق من ولده» رواه الطبراني عن أبي هريرة بسند ضعيف، كما ذكره السيوطي في الجامع الصغير.

٣ - تفضيل بعض الأولاد على البعض الآخر في المعاملة المادية أو الأدبية، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، معللاً هذا النهي بقوله: «أتحب أن يكونوا لك في البر سواء؟» والموضوع مذكور بالتفصيل في الجزء الرابع.

والقرآن الكريم حكى لنا مؤامرة إخوة يوسف وكيدهم له، بسبب ما كان أبوهم يعقوب يوليه إياه من الحب: ﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ وَأَبْنَاؤُنَا وَنَحْنُ عَصَبَةٌ إِنَّا أَبْنَاؤُ لِي فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨]، ودبروا ما دبروا على ما هو مذكور في السورة.

(١) جريدة الشعب ٨/١٢/١٩٥٨م.

ويحكى التاريخ ما كان من صدام بين الأمين والمأمون، بسبب حب أبيهما الرشيد للأمين، تحت ضغط أمه، قد حَرَّمَ ابنه المعتصم من الخلافة، وشاءت إرادة الله أن يتولى هو الخلافة بعد موت أخويه، وأن يكون الخلفاء من بعده من ذريته. (١)

٤ - ومن أسباب العقوق عدم العدل بين الزوجات، فهو يهيء الجو لحقد الزوجة على زوجها، وتنشئة أولادها على كراهية أبيهم، وذلك مفصل فى البحث الخاص بتعدد الزوجات .

تلك بعض الأسباب، ذكرتها كمثال فقط، وقد تكون هناك أسباب أخرى تخلقها ظروف مختلفة، أو حالات خاصة، لا مجال لحصرها هنا .

هذا، ومن اشتهروا بالعقوق عند العرب «أخزم الطائي» فقد كان عاقاً لوالديه، ولما مات ترك بنين على خُلُقهِ فَعَقُّوا جدهم، وضربوه، وأدَمَوْهُ، فقال فيهم:

إِنْ بَنِي زَمَّوْنِي بِالْأَدَمِ      شِنْشِنَةٌ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

والشِنْشِنَةُ: هى السجىة والطبيعة. (٢)

\* \* \*

(١) تاريخ الخلفاء، للسيوطى ص ١٩٢ . (٢) النهاية لابن الأثير، مادة: شنشن .

## الفصل الخامس

### والدا النبي ﷺ

( أ ) والده :

والد النبي ﷺ هو عبد الله بن عبد المطلب، وعبد المطلب كان قد تزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم، وأنجب منها: أبا طالب، والزبير، وعبد الكعبة، وعبد الله.

وكان عبد المطلب قد نذر، عندما منعه قريش من حفر زمزم، ولم يكن معه إذ ذاك إلا ولده الحارث، نذر إن رزقه الله عشر بنين ليذبحن أحدهم قرباناً لله، وقد رزق هذا العدد، وعند الوفاء بالنذر جاءت القرعة على عبد الله، حتى دلته كاهنة تسمى قطبة أو سَجْسَاج، على تقديم دية عنه، بلغت مائة من الإبل.

ولهذا روى أن النبي ﷺ، قال: «أنا ابن الذبيحين»، أى إسماعيل الذى أمر أبوه إبراهيم فى المنام أن يذبحه، ففداه الله بذبح عظيم، وعبد الله الذى كان سيذبح وفاء بالنذر، ففدى بمائة من الإبل.

ولما بلغ عبد الله الرابعة والعشرين من عمره زوجه أبوه من «آمنة» فحملت بالنبي، ومات عبد الله، ولم يزل النبي جنيناً فى بطن أمه، كان له شهران، وقيل مات أبوه قبل ولادته بشهرين، حيث كانت سن عبد الله خمساً وعشرين سنة على ما صححه الواقدي، وقيل: مات وسنه ثمان عشرة سنة على ما صححه ابن حجر، واختاره السيوطي، ولا يهمننا هذا السن.

مات عبد الله وهو راجع من «غزة» مع قريش فى تجارتها، وأقام مريضاً فى يثرب «المدينة» شهراً، ثم توفى عند أخوال أبيه بنى عدى بن النجار، ودفن فى دار «التابعة» وهو رجل من بنى عدى، وقيل دفن بالأبواء، وهى قرية من عمل الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وقيل: إن آمنة رثته بأبيات، منها:

عَفَا جَانِبُ الْبَطْحَاءِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      وَجَاوَرَ لِحْدَا خَارِجَا فِي الْغَمَاغِمِ  
دَعَتْهُ الْمَنَايَا دَعْوَةً فَأَجَابَهَا      وَمَا تَرَكْتَ فِي النَّاسِ مِثْلَ ابْنِ هَاشِمٍ  
عَشِيَّةً رَاحُوا يَحْمِلُونَ سَرِيرَهُ      تَعَاوَرَهُ أَصْحَابُهُ فِي التَّزَاوَحِمْ  
فَإِنْ تَكُ غَالَتِ الْمُنُونُ وَرَبَّيُهَا      فَقَدْ كَانَ مَعْطَاءً كَثِيرًا تَرَاحِمِ

عفا يعنى خلا، والغماغم هي الأكفان، ومعنى تعاوره تداوله. (١)

وقيل: إن عبد الله توفي بعد ولادة النبي ﷺ بسبعة أشهر، والرأى الأول أصح، كما ذكره ابن القيم. (٢)

وحديث: «أنا ابن الذبيحين» رواه الحاكم في المستدرک عن معاوية بن أبي سفيان، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابي، فقال: يا رسول الله، خلقتُ البلاد يابسة، والماء يابساً، وخلقتُ المال عابساً، هلك المال، وضاع العيال، فعدتُ على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، قال معاوية: فتبسم رسول الله ﷺ، ولم ينكر عليه، وقد ذكره الرمخشري في تفسير «الكشاف»، وقال الزيلعي في تخريج أحاديثه: غريب.

قال جماعة: إن الذبيح الأول ليس إسماعيل، بل هو إسحق، واستندوا إلى روايات ضعيفة، ترتفع بكثرتها إلى درجة الحسن، وصحح الذهبي بعضها، وحديث معاوية قابل للتأويل، فالعرب تطلق علي العم أبا، كما في قوله تعالى: ﴿أُمُّ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فجعل القرآن إسماعيل أباً لأولاد يعقوب، وهو عم لهم، لأنه عم أبيهم يعقوب.

وقال جماعة آخرون: إن الذبيح هو إسماعيل، يقول ابن القيم: «ومما يدل على أن الذبيح إسماعيل أنه لا ريب أن الذبيح كان بمكة، ولذلك جلعت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعى بين الصفا والمروة، ورمى الجمار بها، تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لذكر الله تعالى، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة، دون إسحق وأمه.

(٢) زاد المعاد (١/١٧).

(١) الزرقاني على المواهب (١/١١٠).

ثم قال: ولو كان الذبيح بالشام، كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم، لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة». اهـ.

ومما يدل على أن الذبيح هو إسماعيل أن الله سمي الذبيح أو وصفه بأنه حلیم في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفافات: ١٠١]، ثم تابع قصة الرؤيا والأمر بالذبح، وليس هناك أحلم ممن يسلم نفسه للذبح طاعة لأمر الله، ولما ذكر الله إسحق ووصفه بأنه حلیم في قوله: ﴿إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، وقوله: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، كما أن البكر من الأولاد هو أحبهم للرجل، وإسماعيل كان هو بكر إبراهيم، فكان الابتلاء به مناسباً لظهور معنى الخلة لله.

ومهما يكن من شيء فإن معرفة الذبيح لا تدخل ضمن ما كلفنا به من العقائد، وقد وفي الموضوع حقه ابن القيم في كتابه زاد المعاد. (١)

هذا هو والد النبي ﷺ من النسب، أما أبوه من الرضاعة فسيذكر بعد.

#### (ب) والدته:

والدة النبي ﷺ هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وكانت يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً من جهة الأب، وموضِعاً من جهة الأم، فأما هي برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي.

تزوجها عبد الله بعد أن عرضت كرام النساء عليه أنفسهن، كما تذكر كتب السيرة، ودخل بها في شهر رجب أو ذي الحجة في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى فحملت النبي ﷺ وولدت بعد وفاة أبيه على الأصح، كما مر ذكره.

ولما بلغ النبي ﷺ ست سنوات، وقيل: غير ذلك، خرجت به أمه لزيارة بنى عدى بن النجار بالمدينة، ولتريهم محمداً، وكان معها أم أيمن بركة الحبشية بنت

(١) (١٦/١).

ثعلبة بن حصن، فنزلت به دار التابعة، فأقامت عندهم شهراً، وعند عودتها إلى مكة توفيت بالأبواء.

واختلف في مكان دفنها، فقيل بالأبواء، وقيل بالحجون بمكة، وجمع بعض العلماء بين القولين بأنها دفنت أولاً بالأبواء، ثم نبش قبرها ودفنت بمكة في شعب أبي ذئب، وهو رجل من سراة بنى عمرو بالحجون، وهو جبل بمُعلاة مكة، وقيل في دار «رائعة» بالمُعلاة، وكانت سنها عند وفاتها حوالي العشرين<sup>(١)</sup>، وسيأتى ذكر أمه في الرضاة بعد.

### (ج) هل والدا النبي ناجيان؟

افترق العلماء فرقتين في نجاة والدي النبي ﷺ، فقال جماعة: هما ناجيان من النار، لأنهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة، ولا تعذيب قبلها، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقد أطبقت الأئمة الأشاعرة من أهل الأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً، استناداً إلى هذه الآية، وإلى أن شكر المنعم، وهو الله سبحانه واجب سمعاً لا عقلاً، وذلك بناء على رأيهم في الحُسن والقبح العقليين، وهو عدم التسليم به.

على أن أهل الفترة يطلق عليهم «غافلون» وقد قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، أى: الغافلون عن تذكّر الله لهم على يد رسول.

وقد وردت في أهل الفترة أحاديث تفيد أنهم موقوفون إلى أن يمتحنوا يوم القيامة، فمن أطاع منهم دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وهذه الأحاديث على كثرتها لم يصح منها إلا ثلاثة، كما قال العلماء المختصون.

وعلى هذا الرأي يكون أبوا النبي ﷺ ناجيين، وعزز هؤلاء رأيهم بنصوص

(١) الزرقاني على المواهب (١/١٧٢).

قابلية للتأويل، وبآراء لم تسلم من المناقشة، منها قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلِّبُ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، وما روى أن النبي ﷺ، قال: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» رواه أبو نعيم عن ابن عباس، فوجب ألا يكون أحد من أصول النبي مشركاً، لأن المشركين نجس.

وقال بعض ممن رأوا نجاته أبو النبي ﷺ: إن الله أحياهما له بعد موتهما، فأمننا به، حتى قال قائلهم:

أيقنت أن أبا النبي وأمه أحياهما الرب الكريم الباري  
حتى له شهدا بصدق رسالة صدق فتلك قضية المختار  
وأوردوا في ذلك أحاديث كلها ضعيفة، منها: قالت عائشة: حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمر بي على الحجون، وهو باك حزين مغتم، فبكيت لبكائه، ثم أنه نزل، فقال: «يا حميراء، استمسكي» فاستندت إلى جنب البعير، فمكث ملياً، أي مدة طويلة، ثم عاد إلي وهو فرح متبسم، فقال: «ذهبت لقبر أُمِّي، فسألت ربي أن يحييها، فأحيها، فأمنت بي، وردها الله».

قال العلماء: إنه باطل، وحكم بذلك الدارقطني، وقال ابن عساكر: إنه منكر، وقال ابن الجوزي: موضوع.

وروى من حديث عائشة أيضاً إحياء أبيه، حتى آمننا به، وقال السهيلي عنه: في إسناده مجاهيل، وقال ابن كثير: إنه منكر جداً، وسنده مجهول.

وتعقب ما استند إليه هؤلاء بأنه لم ير أحد صرح بأن الإيمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه، فإن ادعى أحد الخصوصية فعلية بالدليل، ولا دليل، وإذا كان إحياء الله لوالدي النبي ﷺ بعد الموت ممكناً عقلاً، فإنه لم يثبت وقوعه بدليل صحيح.

وقالت الفرقة الثانية من العلماء: إن أبوي النبي ﷺ ماتا كافرين، بناء على رأيهم في الذين يموتون قبل البعثة، وهم أهل الفترة، ورأيهم في شكر المنعم ووجوبه بالعقل، بناء على ما قالوه من الحسن والقبح العقليين من الاعتراف به.

واستدلوا بنصوص، منها:

ما رواه مسلم<sup>(١)</sup>، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي، فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها، فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة».

وأجاب الأولون على هذا الدليل بأن عدم الإذن في الاستغفار لا يدل على كفرها، كما لم يصل النبي ﷺ على الميت الذي عليه دين، مع أنه غير كافر، فقد تكون أمه متحنفةً محبوسة في البرزخ عن الجنة لأمرٍ أخرى.

وفي مسلم أيضاً<sup>(٢)</sup> عن أنس أن رجلاً، قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفي، أي انصرف وولاه قفاه، دعاه، فقال: «إن أبي وأباك في النار».

وأجاب الأولون بأنه حديث منسوخ بالآيات والأحاديث الواردة في أهل الفترة، أو أنه أراد بأبيه عمه أبا طالب، أو أنه خير آحاد لا يعارض القاطع وهو الآية، وقال بعض هؤلاء: إن حديث مسلم انفرد به عن البخاري، وفيما انفرد به عنه أحاديث تُكَلِّم فيها، ويوشك أن هذا منها، وقيل إن النبي ذكر أباه مع أب هذا الرجل تطييباً لخاطره، لكن يبقى السؤال عن هذا الأب، كيف يكون في النار؟ والجواب هو ما قيل في أهل الفترة.

لكن النووي قال عن حديث مسلم هذا: «فيه أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو في النار، وليس في هذا مؤاخذه قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء».

وقد رد السيوطي كلام النووي بما محصله: «إنا لو اعتبرنا مطلق وجود بعثة الأنبياء لاستحال وجود من لم تبلغهم الدعوة، إذ ما من فترة إلا وقبلها نبي إلى آدم، وهو أول الأنبياء...».

(٢). (٧٩/٣).

(١). (٤٦/٧).

وعلى هذا الرأي، وهو عدم نجاتهما، فخر الدين الرازي وغيره، والخلاف طويل في أهل الفترة يرجع إليه في كتب الملل والنحل والتوحيد والكلام، وقد تحدث عنه كثيراً الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية ( ١ / ١٦٣-١٩٧ )، فيمكن الرجوع إليه .

ومهما يكن من شيء فإنه لا فائدة ترجى من وراء البحث في ذلك، قال القسطلاني في المواهب اللدنية: « فهذا ما تيسر لي من البحث في مسألة والديه، وقد كان الأولى ترك ذلك، وإنما جئنا إليه ما وقع من المباحثة فيه مع علماء العصر، ولقد أحسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي ( توفي سنة ٨٤٢هـ )، حيث قال:

حَبَا اللهُ النَّبِيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ      عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رَوْوفا  
فَأَحْيَا أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ      لِإِيْمَانٍ بِهِ فَضْلاً لَطِيفاً  
فَسَلَّمَ فَالْقَدِيمَ بَذَا قَدِيرٍ      وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفاً

ثم قال القسطلاني: « والحذر من ذكرهما بما فيه نقص، فإن ذلك قد يؤذى النبي ﷺ لأن العرف جارٍ بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه، أو وُصف بوصف به، وذلك الوصف فيه نقص، تأذى ولده، بذكر ذلك له عند المخاطبة، وقد قال عليه السلام: « لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات » رواه الطبراني في الصغير، ولا ريب أن أذاه عليه السلام كُفْرٌ، يُقْتَلُ فاعله إن لم يتب عندنا، أي الشافعية » اهـ .

وسئل القاضي أبو بكر أحد الأئمة المالكية عن رجل، قال: إن أبا النبي ﷺ في النار، فأجاب بأنه ملعون، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ولا أذى أعظم من أن يقال: أبوه في النار. (١)

قال الحافظ ابن حجر في بعض كتبه: « والظن بآله ﷺ، يعني الذين ماتوا قبل البعثة، أنهم يطيعون عند الامتحان يوم القيامة، إكراماً له ﷺ، وقال في

(١) الزرقاني على المواهب (١/١٨٥).

الأحكام والإصابة : ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآل بيته الجنة في جملة من يدخلها طائعاً فينجو، إلا أبا طالب، فإنه أدرك البعثة، ولم يؤمن، وقد ثبت في الصحيح أنه أهون أهل النار عذاباً. (١)

#### ( د ) أبو النبي من الرضاعة :

هو زوج حليلة السعدية التي أرضعت النبي ﷺ، واسمه الحارث بن عبد العزى، مختلف في إسلامه. (٢)

#### ( هـ ) أم النبي من الرضاعة :

كان من مرضعات النبي ﷺ ثويبة جارية أبي لهب، التي بشرته بولادة النبي ﷺ، وقد اختلف في إسلامها، ولم يثبت نقله، وكانت تدخل على النبي بعد أن تزوج خديجة فتكرمها، وكان بعد الهجرة يبعث إليها بكسوة وصلة، حتى ماتت بعد فتح خيبر سنة سبع من الهجرة، ومات ابنها مسروح قبلها. (٣)

أما المرضعة المشهورة التي مكث عندها طويلاً، فهي حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الحارث بن شجنة، من بنى هوازن، وقد اختلف في إسلامها، والصحيح أنها أسلمت، وحدث عنها عبد الله بن جعفر (٤)، وكان النبي يكرمها بعد البعثة، كما ورد ذلك، يقول أبو الطفيل: رأيت النبي ﷺ يقسم لحما بالجعرانة، إذ أقبلت امرأة، حتى دنت إلى النبي ﷺ، فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هي؟ قالوا: هذه أمه التي أرضعته. (٥)

وروى أنه قال لها: «اشْفَعِي تُشَفِّعِي، وَسَلِّي تُعْطِي»، فقالت: قَوْمِي، فقال: «أما حقي وحق بنى هاشم فهو لك»، فقام الناس من كل ناحية، وقالوا: وحقنا يا رسول الله، ثم وصلها بعد، وأخدمها، ووهب لها، ووهب لها سهمين بحنين، فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة ألف درهم. (٦)

- 
- (١) الزرقاني على المواهب (١/١٨٧). (٢) الزرقاني على المواهب (٣/٢٩٤).  
(٣) الزرقاني على المواهب (٣/٢٩٢). (٤) الزرقاني على المواهب (٣/٢٩٤).  
(٥) أسد الغابة، ترجمة عامر بن وائلة (٣/١٤٥)، والقرطبي في تفسير «ويوم حنين...»، ومصابيح السنة، للبعثي «باب البر».  
(٦) الإحياء (٢/١٥٧).

## ( و ) أجداد النبي ﷺ :

( أ ) أما أجداد النبي ﷺ من جهة أبيه فهم المذكورون في نسبه الشريف المعروف، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهم عشرون جداً معروفون باتفاق بين النسابين، ولا خلاف في هذا النسب البتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وقد صح في قيمة هذا النسب قوله ﷺ : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بنى إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفاني من بنى هاشم » رواه مسلم عن أبي عمار شداد عن واثلة بن الأسقع، وهو نسب طاهر شريف روى فيه قوله ﷺ : « خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نسباً، وخيركم أبا » رواه البيهقي في دلائل النبوة عن أنس، وسنده ضعيف، كما مر في الجزء الأول، وورد مثل هذا عن علي كرم الله وجهه .

أما النسب بعد إبراهيم إلى آدم فهو مذكور في كتب السيرة، ولا دليل يعتمد عليه في صحته، ولا تهمنا معرفته، والحديث عن الآباء المعروفين في هذا النسب تكفلت به أيضاً كتب السيرة، ومن أراد معرفة شيء عنهم فليرجع إليها .

وأول أجداده هو عبد المطلب الذي يكنى بأبي الحارث<sup>(١)</sup> وقد عمر طويلاً حتى قيل : إنه بلغ مائة وأربعين عاماً، وهو الذي جدد حفر بئر زمزم بعد أن كانت مطمورة من عهد جرهم، وكان له ذكره عند هجوم أبرهة على الكعبة بجيشه، وكان سنه سبعين سنة تقريباً عندما زوج ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب والدة

(١) الحارث تكتب أحياناً الحارث، وكذلك إسماعيل، وإسحق يكتبان أحياناً بألف وبدون

ألف، ومثلهم هرون .

النبي ﷺ، واستمر النبي ﷺ في كفالته بعد موت أمه حتى توفي، وكانت سن رسول الله ﷺ إذ ذاك ثمان سنين، وقيل: ست، وقيل: عشر، فصار بعد ذلك في كفالة عمه أبي طالب حتى بعث.

(ب) وأما أجداد النبي ﷺ من جهة الأم فيعرفون من نسبها، فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب، فهي تلتقى مع النبي ﷺ في كلاب، وقد تحدثت كتب السيرة أيضاً عن شرف هذا النسب، ويمكن الرجوع إليها.

### (ز) جدات النبي ﷺ:

(أ) أما جداته من جهة أبيه، فإن أم عبد الله هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ، من عمران بن مخزون.

وأم عبد المطلب هي سلمى بنت عمرو، من بنى النجار، زوجة هاشم، وكانت قبله تحت أحيحة بن الجلاح، فولدت له عمراً.

وأم هاشم هي عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان، من بنى سليم.

وأم عبد مناف هي عاتكة بنت فالح، عمه أم هاشم، وفي الزرقاني على المواهب بقية جداته. (١)

(ب) وأما جداته من جهة أمه، فإن آمنة هي: برة بنت عبد العزى، وأم وهب «أبي آمنة» أي جدة آمنة هي عاتكة بنت الأوقص، من بنى سليم؛ ويعرف الأوقص بأبي كبشة، الذي كان ينسب إليه الرسول ﷺ، فيقال: ابن أبي كبشة، وإن كان هناك خلاف في أن الأوقص يكنى بأبي كبشة.

ونسب إليه لأنه خالف العرب، إذ كان يعبد الشُعْرَى، ولم يكن أحد من العرب يعبدها غيره، فلما جاءهم النبي ﷺ بخلاف ما كانت عليه العرب، قالوا: هذا ابن أبي كبشة، نسبوه إليه في مطلق المخالفة، ولم يقصدوا ذمه، وقيل: كان

(١) (٣/٢٩٠).

يُدْعَى «أبا كبشة» وهب أخو أمه، كان يدعى بهذا تحقيراً، وقيل: كان يدعى بها أبوه من الرضاع الحارث بن عبد العزى زوج حليلة، حيث كانت له بنت تسمى كبشة، وفي الزرقاني على المواهب اللدنية بقية جداته. (١)

تنبيهه:

ورد عن النبي ﷺ، أنه قال يوم حنين: «أنا ابن العواتك من سليم» رواه الطبراني بسند عن سيانة بن عاصم، وقال الألباني في تخريج أحاديث الجامع الصغير، للسيوطي: إنه حسن، وضبط الدميري في حياة الحيوان الكبرى - مادة عاتك لفظ سيانة بسين مهملة، ثم ياء مثناة من تحت، وبعد الألف نون ثم هاء، وقال: إن الحديث رواه عبد الباقي بن قانع في معجمه، والحافظ أبو طاهر أحمد ابن محمد بن أحمد السلفي.

وجاء في لسان العرب عند ذكر هذا الحديث أن العواتك جمع عاتكة، وهي المتضمخة بالطيب، وعواتك سليم ثلاثة، والمراد بهن جداته، وهن:

١ - عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان، أم عبد مناف بن قصي، جد هاشم.

٢ - عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان، أم وهب بن عبد مناف.

٣ - عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان، أم وهب بن عبد مناف بن زهرة، جد رسول الله ﷺ، أبي أمه آمنة بنت وهب.

فالأولى من العواتك عممة الوسطى، والوسطى عممة الأخرى، وبنو سليم تفخر بهذه الولادة.

ولبنى سليم مفاخر، منها:

( أ ) أنها ألفت مع النبي ﷺ يوم فتح مكة، أي شاهده منهم ألف، وأن رسول الله ﷺ قدم لواءهم يومئذ على الألوية، وكان أحمر.

(١) (٣/٢٩١).

(ب) وأنها حازت الشرف في البلاد التي تحمل بها، فقد كتب عمر إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام: ابعثوا إليّ من كل بلد أفضله رجلاً<sup>(١)</sup>، فبعث أهل الكوفة: «عُتْبَةَ بن فرقد السلمي»، وبعث أهل البصرة «مُجَاشِع بن مسعود السلمي»، وبعث أهل الشام «أبا الأعور السلمي»، وبعث أهل مصر «مَعْن بن يزيد السلمي».

كذا قاله جماعة، والصواب أن بنى سليم، كانوا يوم الفتح تسعمائة، فقال لهم النبي ﷺ: «هل لكم في رجل يعدل مائة، فيوفيكم ألفاً؟ قالوا: نعم، فوفاهم الضحاك بن سفيان، وكان رئيسهم، وإنما جعله عليهم لأن جميعهم من قيس بن عيلان، قاله الدميري في حياة الحيوان الكبرى، مادة: عاتك.

وسائر العواتك أمهات النبي ﷺ من غير بنى سليم، قال ابن بَرِّي: والعواتك اللاتي ولدنه اثنا عشرة، اثنتان من قريش، وثلاث من سليم، هن اللواتي أسميناهن، واثنتان من عدوان، وكنانية، وأسدية، وهذلية، وقُضَاعية، وأزديّة.

### (ج) أم أيمن:

وضعت هذه السيدة هنا لأن لها أمومة روحية بالنبي ﷺ، وقد جاء في بعض الروايات أنه كان يقول لها: «أنت أمي بعد أمي».

وهي بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، أعتقها أبو المصطفى ﷺ، وقيل: بل النبي هو الذي أعتقها، وقيل: كانت لأمه، أسلمت قديماً، وهاجرت الهجرتين، ولها مناقب كثيرة، كما في صحيح مسلم.<sup>(٢)</sup>

وهي أم أسامة بن زيد، تزوجها زيد بعد موت زوجها عبيد، روى ابن السكن مرفوعاً: «من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن»، فتزوجها زيد ابن حارثة بمكة، وذلك قبل زواجه من زينب بنت جحش على المعتمد، فذلك كان بالمدينة.

(٢) (٩/١٦)

(١) في الأصل: ابعثوا إليّ كل بلد أفضله رجلاً.

يروى ابن سعد وابن السكن كرامة نزول الماء إليها في دلو من السماء برشاً أبيض، لما عطشت وهي صائمة مهاجرة ماشية ليس معها زاد، وجاء في بعض الروايات، قولها: فلما غابت الشمس إذا أنا بحقيق، تصغير حق، تحت رأسى.

توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر، وقيل بستة أشهر، وقيل: إنها غاشت بعده حتى توفيت في زمن عثمان، وتوجد «أم أيمن» أخرى، وتسمى بركة أيضاً، وهي مولاة أم حبيبة.

وأيمن هو ابنها من زوجها عبيد الخزرجى المستشهد يوم حنين. (١)

وأم أيمن كانت قابلة النبي ﷺ، وحاضنته بعد موت أمه، وكان النبي ﷺ يقول لها: «أنت أُمى بعد أُمى»، وكانت تُدَلُّ عليه، وكان أبو بكر وعمر يزورانها بعد وفاته ﷺ، فإذا رأتهما بكت، وقالت: أنا أبكى لخبر السماء كيف انقطع عنا، رواه مسلم. (٢)

وروى البخارى وغيره عن أنس أن الرجل كان يجعل للنبي ﷺ النخلات، حتى فتحت عليه قُرْبُطَةٌ والنَّضِيرُ، فجعل يرد بعد ذلك، فكلمنى أهلى أن أسأله الذى كانوا أعطوه أو بعضه، وكان أعطاه أم أيمن، فسألته فأعطانيه، فجاءت أم أيمن، فجعلت تقول: كلا والله لا يعطيكهن وقد أعطانيهن، فقال ﷺ: «لك كذا وكذا»، وتقول: كلا، ويقول: «لك كذا وكذا»، وتقول: كلا، حتى أعطاهما، حَسْبَتْهُ، قال: عشرة أمثاله، أو قريباً من عشرة أمثاله.

وروى مسلم عن أنس، كان النبي ﷺ يدخل على أم أيمن، فقدمت إليه لبناً، فإما كان صائماً، وإما قال: «لا أريده»، فأقبلت تضاحكه، فلما كان بغد وفاته قال أبو بكر لعمر: انطلق بنا نزور أم أيمن، كما كان ﷺ يزورها، فلما دخلا عليها بكت، فقالا: ما يبكيك، فما عند الله خير لرسوله؟ قالت: أبكى على الوحي الذى رفع عنا، فهيجتھما على البكاء، فجعلت تبكى، ويبكيان معها. (٣)

\* \* \*

(١) الزرقانى على المواهب (١/١٨٨). (٢) (٩/١٦).

(٣) صحيح مسلم (٩/١٦)، والزرقانى على المواهب (٣/٢٩٥).